التخلف الاقتصادي

بين إشكالية تدهور قوى الإنتاج وانحطاط التركيب الفوقي

د. أمين محمد سعيد الأدريسي
أستاذ كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة صلاح الدين

صلاح الدين أحمد محمد
طالب دكتوراه

في دراسات التخلف الاقتصادي يتم التركيز عادة على إجراء مقارنة بين محورين هامين لتسليط الضوء على ماهية التخلف الاقتصادي، وأهم مؤشراته:

المحور الأول:

إجراء مقارنة بين مجموعتين دوليتين: المجموعة الأولى تمثل الدول المتقدمة، والأخرى تمثل الدول المتخلفة. تمثل المجموعة الأولى دول أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية وأستراليا، أما المجموعة الثانية، فتمثل الدول المتخلفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

المحور الثاني:

شمول المقارنة لما تشكله كل مجموعة دولية من وزن نسبي في السكان، والدخل على المستوى العالمي. إذ تشير إحدى الدراسات إلى أنه في أعقاب الحرب العالمية الثانية كان (١٨٪) من سكان العالم يحصلون على (٦٧٪) من الدخل العالمي، وهم سكان أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأستراليا، هذا في الوقت الذي كان فيه (٦٧٪) من سكان العالم يؤول إليهم (١٥٪) من الدخل العالمي(١).

وعند متابعة ما استجد من دراسات في الموضوع نفسه، تبين أن الدراسات الأحدث (حسب إحصاءات عام ١٩٩٥) تشير إلى أنه ما بين (١٦٪- ٢٠٪) من سكان العالم أي بحدود (١٨٪) تمكنوا من الحصول على (٨٥٪) من الدخل العالمي(٢)، أي أنهم تجاوزوا ما كانوا يحصلون عليه من الدخل العالمي في الدراسة السابقة، التي تفصلها عن الدراسة الحالية (٤٦) سنة تقريبا بـ(١٨٪). وهذا في حد ذاته مؤشر خطير يدل على تزايد عمق هذه الظاهرة سنة بعد أخرى.

لقد ركزت كتابات التخلف الاقتصادي على متوسط دخل الفرد الحقيقي، واعتبرته معياراً يميز الدول المتخلفة عن المتقدمة، وأضافت إليه معايير أخرى تتعلق بنصيب الفرد من السعرات الحرارية والبروتين، ونسبة الأطباء إلى السكان، والعمر المتوقع للحياة، إلى غير ذلك من معايير تعكس معايير صالحة لتمييز الدول المتقدمة عن المتخلفة.

إلا أن جملة ما تم إيراده يصلح أن يكون مقاييس يستفاد منها للتمييز بين الدول المتقدمة والمتخلفة، لكنه لا يقدم تعريفاً شاملاً لهذه الدول. هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يثار تساؤل مشروع: هل الدول المتخلفة هي الدول الفقيرة نفسها، حتى نقترب من تحديد تعريف مقبول للدول المتخلفة؟ ثم هل إنّ كل دولة غنية بالضرورة تكون دولة متقدمة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نبين الآتي:

١- الفرق بين الفقر والتخلف في الفكر الاقتصادي الإسلامي:

يرى الفكر الاقتصادي الإسلامي أن مفهوم الفقر يدور حول "عدم القدرة على الحصول على الاحتياجات الضرورية، لعدم توافر أسباب العيش الكريم الرغد، وهو ما يعني العوز والتعرض للجوع والحرمان والإملاق"(٣).

ومن ثم فجهود التنمية وعمارة الأرض في الإسلام تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتحسينه بانتظام، بما يكفل توفير حد الكفاية لجميع الأفراد، أي إغناء كل فرد بحيث يكون قادراً على الإنفاق على نفسه، وعلى من يعول، وذلك تمييزاً له من حد الكفاف، الذي يعد الحد الأدنى للمعيشة. ولا يقتصر توفير حد الكفاية على ضرورات الحياة اليومية، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، بل يمتد إلى ما يلزم لتهيئة حياة كريمة للفرد، مثل: توفير الرعاية الطبية، والتعليم الأساسي، وسبل الزواج، أي كل ما يجعل الفرد يلحق بالمستوى المعيشي السائد في المجتمع(٤).

أما المفهوم الإسلامي للتخلف الاقتصادي، فإنه يختلف عن مفهوم الفقر،

فإن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية يدرك أن الإسلام ينظر إلى التخلف على أنه تراخ عن العمل والسعي في طلب الرزق وعمارة الأرض بشكل فاعل، فإن الله تعالى قد أعطى للإنسان العديد من الثروات والنعم التي لا تحصى، وطالبه بعمارة الأرض بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٥)، وإن الإسلام يساعد الفقراء من مال الصدقة، ولا يساعد المتخلفين أو القاعدين عن العمل بغير عذر.

وحديث الرسول (ص) مع الرجل الذي يريد مسألة، وباع له الرسول (ص) ما يملكه في بيته عن طريق المزاد، وقال له: اذهب واحطب وبع، ولا أرينك إلا بعد خمسة عشر يوماً، لهو دليل على مقت الرسول للقاعدين والمتخلفين.

وهكذا فرق الإسلام بين الفقر والتخلف، واعتبر الفقير له معلوم في الزكاة وموارد بيت المال. أما المتخلف عن ركب المتقدم فقد وبّخهُ، وتوعده إذا سأل، وهو قادر على الكسب، وعمارة الأرض.

وعلى هذا، فإن هناك ثلاثة معايير يمكن النظر إليها على أنها تفرقة بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة، وذلك في المفهوم الإسلامي(٦):

أ. وجود الموارد الطبيعية الملائمة.

ب. وجود الجهد البشري الفعال، الذي يتعامل مع تلك الموارد، أو يحيلها إلى منتجات نافعة.

ج. وجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد، ومن ثم دوام عملية الإشباع المتزايد للحاجات.

إذا تواجدت تلك العناصر المجتمعة يعتبر المجتمع مجتمعاً متقدماً، وإذا تخلف فيه عنصر من العناصر السابقة، فقد المجتمع طيب الحياة. فإذا خلا من الموارد الطبيعية المناسبة، فعليه أن يبذل قصارى جهده في تعويضها، وإلاّ كان فقيراً وليس متخلفاً ما دامت بقية العناصر قائمة.

وإذا فقد الجهد البشري في عمليات الإنتاج، مع توافر الموارد، فإنه في تلك الحالة يعتبر متخلفاً، ففي إمكانه التقدم ولم يفعله. وإذا فقد مجموعة القيم الصالحة، التي تضمن دوام التلاحم، ونمو الإنتاج، وعدالة توزيعه، فإنّ ضخامة إنتاجه الاقتصادي لن تستمر طويلاً، وإذا كان متقدماً فهو تقدم وقتي سرعان ما يزول.

يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(٧). أي أن الإسلام ربط المشكلة بالإنسان، وبما هو عليه من القيم، أي ربط المشكلة بجذورها الثقافية والاجتماعية العميقة، مع عدم تجاهل عنصر المال، ولا عنصر النشاط الاقتصادي للإنسان، أي العنصر المالي للتقدم.

٢- الدول الغنية والدول المتقدمة:

إن التحليل ذو الأبعاد الثلاثة، التي صاغها مفكرو المدرسة الاقتصادية الإسلامية، لتبيان الدول الفقيرة، والدول المتخلفة، ضروري جداً لإحكام الربط مع مفهومي الغنى والتقدم، اللذين يتجسدان على أرض الواقع بالدول الغنية، والدول المتقدمة. فبعض الدول قد تكون غنية جداً، ولكن لا يمكن أن نسميها دولاً متقدمة، فهي تمتلك من الموارد الطبيعية، أو إحداها، بشكل يفوق أعداد سكانها بكثير، وقد تعتمد على الامتيازات، أو عقود المشاركة، أو عقود الخدمة، لاستخراج ثرواتها، وينعكس هذا بارتفاع الدخل القومي فيها، وارتفاع متوسط دخل الفرد الحقيقي(٨)، إلا أن كل هذا لا يعتقها من أسار التخلف الاقتصادي، كونها قد عجزت من استثمار ثرواتها الوطنية بإمكاناتها البشرية.

٣- مفهوم التخلف الاقتصادي:

لقد تناولت العديد من آراء مفكري التنمية الاقتصادية السالفة، عدة تعريفات للتخلف الاقتصادي، منها:

أ. الدول المتخلفة هي الدول المتسمة بانخفاض متوسط دخل الفرد الحقيقي(٩)* وذلك على اعتبار أنه الفيصل الممكن قياسه لتمييز التخلف عن التقدم، وبالتالي تمييز الدول المتخلفة عن الدول المتقدمة. ولقد تم بيان أحد أوجه النقد لهذا المفهوم للتخلف الاقتصادي، لكونه يصلح معياراً أو مقياساً للتخلف الاقتصادي، وليس مفهوماً له. هذا فضلاً عن كونه يعكس منظوراً للتخلف الاقتصادي ذا بعد واحد، بينما التخلف الاقتصادي يعد مفهوماً ذا أبعاد متعددة(١٠)، إذ إن هناك أبعاداً متعددة للتخلف الاقتصادي، تتعلق بمستوى التعليم،

والرعاية الصحية، والسعرات الحرارية التي يحصل عليها الفرد...الخ(١١). ومن هنا نرى قصور تعريف التخلف الاقتصادي بالركون إلى متوسط دخل الفرد الحقيقي، كما أن هذا التعريف للتخلف الاقتصادي تكتنفه العديد من الانتقادات، منها على سبيل المثال، لا الحصر(١٢):

١/ لا تتضمن حسابات الدخل القومي خدمات ربات البيوت، في حين أنها ذات قيمة كبيرة في الدول النامية.

٢/ لا تتضمن حسابات الدخل القومي الانتاج المستهلك ذاتياً، والذي نراه ماثلاً بقوة في اقتصادات الدول النامية.

٣/ لا يتضمن متوسط دخل الفرد الحقيقي ما يعكس نمط توزيع الدخل القومي، وبالتالي لا يعبر عن الرفاهية الاقتصادية.

ورغم استبعاد متوسط دخل الفرد الحقيقي كتعريف للتخلف الاقتصادي، إلا أن هذا لا يستبعد كونه معياراً هاماً للتخلف الاقتصادي. فضلاً عن هذا، فقد وجد أن الدولة التي ينخفض فيها هذا المعيار، تنخفض فيها مؤشرات التعليم والصحة والسعرات الحرارية، وتوقع الحياة، ونصيب الفرد من المنسوجات، ونصيب الفرد من البروتين...إلخ. ويبدو أنّ متوسط دخل الفرد الحقيقي، وهذه المؤشرات، يصلح كل منهما أن يكون سبباً ونتيجة للآخر في الوقت نفسه.

ب. الدول المتخلفة هي الدول المتسمة بتخلف قوى الإنتاج فيها، باعتبار أن الدخل القومي ينخفض، أو يرتفع، تبعاً لانخفاض أو ارتفاع حجم السلع والخدمات المنتجة. ولا يحصل هذا الانخفاض في حجم السلع والخدمات، إلاّ بتخلف قوى الانتاج المادية والبشرية(١٣). فالنمو الاقتصادي، منظوراً إليه من هذه الزاوية، ليس إلاّ تطور مجتمع معين عن طريق الخلق والتطور لوسائل انتاجية جديدة، من شأنها رفع مستويات الإنتاج السائدة، من خلال تطور التنظيم والطاقات والمهارات البشرية(١٤).

ج. الدول المتخلفة هي الدول التي تعيش في ظل أسلوب إنتاجي متخلف، وتركيب فوقي من العلاقات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية...إلخ، التي تتلاءم وهذا الأسلوب الإنتاجي المتخلف(١٥).

ويلاحظ أن التحليل الماركسي لتطور المجتمعات البشرية، ينسجم مع مقولة النظر إلى التخلف الاقتصادي في إطار متكامل، لا يستبعد فيه دور القوى والمؤسسات الاجتماعية، أو السياسية، والعادات، والتقاليد، والقيم، والاتجاهات السائدة(١٦)، على خلاف نظريات التنمية الرأسمالية، التي

ركزت على التراكم الرأسمالي، ودوره في توليد الدخل، كتحليل هارد – دومار الذائع الصيت للنمو الثابت المتصاعد(١٧). إلا أنه يلاحظ أن الاتجاه الحديث لنظرية التنمية الاقتصادية، يبرز حقيقة أنّ كبار هؤلاء المفكرين أخذوا يدركون أن اختلال منظومة القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية، بالشكل الذي تفشل فيه من تحرير المجتمع من قوى الجهل والظلام، من شأنها إعاقة قوى الانتاج المادية والبشرية من أداء دورها في حركة الإنتاج(١٨).

الهوامش:

(١) مـاير، جيرالـد وبولـدوين، روبـرت، التنمية الاقتصادية (نظريتها، تاريخها، سياستها)، ترجمة د. يوسف عبدالله صائغ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٠.

(٢) تودارو، ميشيل، التنمية الاقتصادية، ترجمة د. محمود حسن حسيني، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦، ص٣٣.

(٣) عبدالعظيم، د. حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوصفي والاقتصاد الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٠.

(٤) محمد، مصطفى محمود، الفقر والتخلف الاقتصادي، ص٢٠ .
www.annaba.org/nabahome/nba82/R-htm.

(٥) سورة هود: ٦١.

(٦) محمد، مصطفى محمود، الفقر والتخلف الاقتصادي .
www.annaba.org/nabahome/nba82/R-htm.

(٧) سورة النحل: ١١٢

(٨) محي الدين، د. عمرو، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٤.

(٩) ماير، جيرالد وبولدوين، روبرت، مصدر سابق، ص٢٣.

*رغم إيراد المؤلف هذا التعريف للدول المتخلفة، إلا أنه يفضل التأكيد على استعمال مفهوم الدخل القومي الحقيقي، بدل متوسط دخل الفرد الحقيقي، ويورد لهذا تعليلات متعددة، أبرزها: أنه لو حققت دولة (أ) ارتفاعاً في الدخل القومي لمدى أربعة أضعاف، في حين حققت دولة (ب) ارتفاعاً بمقدار ضعفين، ولكن السكان تزايدوا، بحيث أن الدخل الفردي لم يرتفع في أي من الدولتين، لاضطررنا إلى القول إنّ أيّاً من الدولتين لم تتقدم في مجرى التنمية، بموجب الموقف القائم على اعتبار نمو الدخل الفردي مقياساً للتنمية. ويكون من الواضح عندئذ أننا نظلم الدولة (أ) في عدم إظهار مدى سبقها للدولة (ب) في عملية التنمية. للمزيد انظر: ماير، جيرالد وبولدوين، روبرت، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤.

(10) Singh, D.Bright, conomics of Development, Asia Publishing Housm london, 1966, p.5.

(١١) العادلي، عادل مجيد عيدان، الدول النامية والفهم العلمي لإشكالية التخلف، مجلة العلوم النفسية، عدد ١٥، سنة ٢٠٠٩، ص٩.

(١٢) محي الدين، د. عمرو، مصدر سابق، ص ص٣٤-٤٣.

(١٣) المصدر السابق، ص٤٧.

(14) Singh, D.Brigjt, Op. Cit. P.10.

(١٥) محي الدين، د. عمرو، مصدر سابق، ص٥٠.

(١٦) لانكة، أوسكار، الاقتصاد السياسي، ترجمة د. محمد سلمان حسن، دار الطليعة، بيروت، ص ص٧-١٥.

(١٧) تودارو، مسشيل، مصدر سابق، ص ص١٢٦-١٢٧.

(١٨) المصدر السابق، ص٥٩.

موقف المؤرخين السريان من تحرير بيت المقدس

الجزء الأول

د. فرست مرعي

مقدمة

لقد ظهرت دراسات وبحوث عديدة حول بيان موقف المؤرخين المسلمين من الغزو الصليبي لديار المسلمين في المشرق الإسلامي، ومن موقف المؤرخين الصليبيين من عملية استرداد الأماكن المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين .

ولكن قلما تطرقت دراسة إلى استجلاء موقف المؤرخين النصارى الشرقيين، أو بالأحرى موقف المؤرخين السريان، من مجريات الصراع الذي جري بين المسلمين والصليبيين في المشرق الإسلامي لمدة تقارب القرنين.

لذا، فهذا البحث سيتطرق إلى بيان موقف المؤرخين السريان الغربيين، الذين ينتمون جميعا إلى الكنيسة السريانية (اليعقوبية – المنوفستية) من عملية تحرير أو استرداد بيت المقدس (القدس) على يد (صلاح الدين الأيوبي)، حيث سبقتها بقليل معركة حطين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م التي كانت قاصمة لظهر الصليبيين ، وعلى إثرها تمكن (صلاح الدين) من استرداد الكثير من المدن والبلدات الواقعة في بلاد الشام، وعلى طول ساحلها، بما فيها (بيت المقدس).

ولذلك لابد من التطرق إلى بيان موقف نصارى المشرق، وموقفهم من الغزو الصليبي لديار المسلمين، وما ترتب على هذا الموقف من نتائج.

المبحث الأول
المؤرخين السريان

لكي يتبين موقف المؤرخين السريان من الغزو الصليبي للمشرق الإسلامي عامة، ومن تحرير بيت المقدس على يد (صلاح الدين الأيوبي)، لا بد من معرفة نبذة يسيرة من سيرة هؤلاء المؤرخين، ومؤلفاتهم، ومواردهم (مصادرهم)، التي اعتمدوا عليها في كتابة تواريخهم، فضلا عن المناهج التي اتبعوها بهذا الخصوص .

وتجدر الإشارة إلى أن ثلاثة فقط من المؤرخين السريان الغربيين (اليعاقبة)، هم الذين أرخوا لبيان وقائع الغزو الصليبي لديار المسلمين. اثنان منهم، وهم: كل من ميخائيل السرياني الكبير، المتوفى سنة ١١٩٩م / ٥٩٦هـ، والرهاوي المجهول، المتوفى سنة ١٣٢٤م / ٧٢٥هـ. لذا فإن كتاباتهم على جانب كبير من الأهمية، أما الثالث فهو: (ابن العبري)، المتوفى سنة ١٢٨٦م / ٦٨٥هـ، فقد في اعتمد في كتاباته على المؤرخين السابقين، كما اعتمد على غيرهم، في سرد وقائع الغزو الصليبي، فضلا عن تحرير بيت المقدس. وهؤلاء المؤرخين السريان، هم – حسب التسلسل التاريخي–:

أولا: **ميخائيل السرياني الكبير:**

ولد (ميخائيل)، الذي عرف باسم: (السرياني)، أو (الكبير)، في مدينة (ملطية)[١] سنة ١١٢٦م / ٥٢٠هـ، من عائلة يسميها ابن العبري (آل قنداسي). وكان أبوه كاهنا يدعى (إيليا). وقد دخل (ميخائيل) منذ صباه (دير برصوم) الشهير، الواقع جوار (ملطية)[٢]. وأخذ يرتشف من العلوم اللاهوتية واللغوية والتاريخية، حتى نال منها القسط الوافر. ورُسم كاهناً، ثم أقام رئيساً لديره، وانتخب فيما بعد بطريركاً، فرسم في ١٨تشرين الأول سنة ١١٦٦م / ٥٦٢هـ بعد ممانعة[٣]، ولكنه دبر الكرسي ثلاثة وثلاثين سنة، حتى وفاته في ٧ تشرين الثاني سنة ١١٩٩م / ٥٩٦هـ[٤]. أما لقب (الكبير)، فقد جاء على لسان (ابن العبري)، لتمييزه عن (ايشوع سفثانا)، وهو ابن اخ ميخائيل الذي اتخذ لنفسه ايضا اسم ميخائيل[٥]. وكان (ميخائيل) قد عاصر الكثير من الأحداث المهمة في المنطقة، فقد تمكن (صلاح الدين الأيوبي)، قائد معركة حطين، من استرداد بيت المقدس عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م[٦]، وكان من نتائجها قيام الحملة الصليبية الثالثة، ومحاولتها من جديد استرداد الأماكن المقدسة النصرانية. ويبدو أن المؤرخ (ميخائيل) كان على علاقة ودية مع مملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية، ولكنه بخلاف موقف الأرمن والموارنة، رفض الخضوع

لسلطات كنيسة روما والبابوية، وظل متمسكا بمذهبه اليعقوبي. كما أنه لم يحبذ الاتحاد مع الكنيسة البيزنطية، وذلك لأسباب سياسية أكثر منها عقائدية لاهوتية.[٧]

كما أنه قام بعدة زيارات إلى إمارة انطاكية ومملكة بيت المقدس (أورشليم) الصليبية في سنة ١١٦٨م، وما بين سنتي ١١٧٧ و ١١٧٩م[٨]، وهنالك تلقى دعوة للانضمام إلى بطريرك انطاكية اللاتيني، والحضور معه في المجمع اللاتيراني الثالث، الذي عقده البابا الأسكندر الثالث ضد الألبيجيين.[٩]

وأشهر أعماله: حوليته التاريخية، التي تتناول الأحداث المدنية والكنسية منذ الخليقة وحتى سنة (١١٩٤- ١١٩٥م / ٥٩١-٥٩٥هـ). وقد اطلع عليها العالم الأوروبي بواسطة ترجمة أرمنية، نشرت أجزاء منها في المجلة الأسيوية، التي كانت تصدر في باريس، ثم نشر التاريخ كاملا في مدينة البندقية بإيطاليا. أما النص السرياني، فقد عثر عليه البطريرك (أفرام رحماني) (١٨٤٩-١٩٢٩) في كنيسة السريان اليعاقبة في أورفه (الرها) سنة ١٨٨٧م، في مخطوطة تعود إلى سنة ١٥٩٨[١٠]. وفي سنة ١٨٩٤ قررت الجمعية الأسيوية في باريس أن تساعد في نشر هذا الأثر الهام، وقام المستشرق الفرنسي (جان باتيست شابو) بهذا العمل، ونشر هذا النص في سنة ١٨٩٩، فجاء النص في ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير في مجلد واحد. أما الترجمة الفرنسية، فجاءت بثلاثة مجلدات كبيرة، نشرت في باريس، وقام بها شابو أيضا[١١]. وقد أعيد طبعها في أربعة مجلدات عام ١٩٦٣، وكان مطران دمشق (يوحنا شقير الصددي) قد نقل تاريخ ميخائيل إلى العربية الملحونة عام ١٧٥٩[١٢].

وقد اتبع (ميخائيل) منهج يوسيبيوس القيصري[١٣]، وذلك بتقسيم مادته إلى ثلاثة حقول: الحقل الأول من اليمين لتسلسل الكهنوت (الجزء الكنسي)، والحقل الأوسط لتعاقب الحكومات والممالك (الجزء العلماني)، أما الحقل الأخير، فيخصصه للأحداث المختلفة (المتفرقات).[١٤]

كما أن (ميخائيل) نقل أحداث عصر الامبراطور البيزنطي جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) حتى الامبراطور موريقيوس (٥٨٢-٦٠٢م) من كتاب تاريخ الكنيسة، ذكر ذلك في تاريخه.[١٥]

ثانيا: الرهاوي المجهول

مؤرخ سرياني مجهول، تضاربت الآراء حول أصله وهويته . قال البطريرك رحماني أن المؤلف من مدينة الرها[١٦]، وتبنى هذا الرأي البطريرك أفرام الأول برصوم ، فتارة يسميه بـ (أكليريكي رهاوي)[١٧] وأخرى يقول: "إنه كان راهبا في دير مار برصوم،

ولد في الرها حوالي سنة ١١٦٠(للميلاد)، وتوفي بعيد سنة ١٢٣٤ (للميلاد)..."[١٨]. بينما يصر المستشرق الفرنسي شابو على أن المؤلف ينقل الأحداث الخاصة بمدينة الرها من (باسيليوس الرهاوي)، وأنه بالأحرى راهب من دير مار برصوم الكبير، وقد استفاد من الوثائق المحفوظة في هذا الدير لتدوين تاريخه[١٩]. وقد عاد (جان فييه) فأكد الأصل الرهاوي لابن العبري[٢٠]. ويحاول (ألبير أبونا) أن يوفق بين هذه المعلومات المفيدة بقوله: "فقد يكون مؤرخنا من الرها أصلا، ثم أنهى حياته راهبا في دير مار برصوم، لأن باسيليوس الرهاوي (مطران الرها) توفي سنة ١١٦٩م. أما الأحداث الخاصة بـ(الرها)، فتتواصل بصورة مفصلة ودقيقة لدى المؤلف، مما يشير إلى كونه شاهد عيان يروي ما رآه في هذه الفترة العصيبة من تاريخ مدينة الرها"[٢١].

لقد عثر البطريرك رحماني على النص السرياني لهذا التاريخ في اسطنبول سنة ١٨٩٩م في مخطوطة وحيدة، ترقى إلى بداية القرن الرابع عشر الميلادي، كانت بحوزة الأسقف بولس الرهاوي، وقد زال منها اسم المؤلف، لكون المخطوطة مخرومة. وهذا التاريخ يقسم إلى قسمين: في الأول يتحدث عن التاريخ المدني، منذ بدء الخليقة إلى سنة ١٢٣٤م / ٦٣٢هـ، وفي الثاني يتكلم عن التاريخ الكنسي في عهد الأمبراطور قسطنطين الكبير، المتوفى سنة ٣٣٧م حتى سنة ١٢٠٧م /٦٠٤هـ. وهذا القسم الثاني، رغم كونه مخروما، فإنه يضفي معلومات قيمة على تاريخ ميخائيل السرياني، حيث فصل في أخبار الصليبيين، وأخبار وطنه الرها، تفصيلا لم يرد عند غيره من المؤرخين. ويظهر من هذا التاريخ، أن مؤلفه شهد استيلاء (صلاح الدين) على بيت المقدس سنة ١١٨٧م، ورافق (غريغوريوس يعقوب) (مفريان الشرق) إلى تكريت وسنجار، وإلى المناطق الشرقية من الكنيسة السريانية الغربية (المنوفستية) [٢٢]. وقد نشر البطريرك رحماني الجزء الأول من هذا التاريخ منذ سنة ١٩٠٠م، وظهر القسم الأول منه في دير الشرفة في لبنان سنة ١٩٠٤م[٢٣]، ونقل المستشرق الفرنسي (فرنسيس نو) فقرات منه إلى الفرنسية في مجلة (الشرق المسيحي) سنة ١٩٠٧-١٩٠٨. ثم نشر رحماني القسم الثاني سنة ١٩١١، وبلغ إلى العدد ٥٢٥ من التاريخ المدني، ولم يتسن له نشر ما تبقى من هذا التاريخ [٢٤].

أما المستشرق الفرنسي الآخر (شابو)، فقد أخذ على عاتقه نشر هذا النص التاريخي كاملا في جزئين، بالتعاون مع الراهب أفرام برصوم، البطريرك أفرام الأول برصوم (١٨٧٨-١٩٥٧م) سنة ١٩١٦ –

١٩٢٠في بلجيكا (مجموعة الكتبة المسيحيين الشرقيين) [٢٥]، وتمكن (شابو) من نشر الترجمة اللاتينية للجزء الاول سنة ١٩٣٧ في لوفان – بلجيكا. ولكن المنية عاجلته قبل أن يتوصل إلى نشر الجزء الثاني، فتم تكليف الكاهن العراقي (ألبير أبونا) بترجمة الجزء الثاني إلى الفرنسية[٢٦]، وضع لها مقدمة وهوامش الدومنيكي الفرنسي (جان موريس فييه)، ظهرت سنة ١٩٧٤ في لوفان– بلجيكا[٢٧]. ثم قام (أبونا) بترجمة الجزء الثاني إلى العربية ، ظهرت سنة ١٩٨٦ في بغداد[٢٨]. ويبدو أن لـ(الرهاوي المجهول) تواريخ أخرى، مصرحا بذلك في آخر خبر عن ترجمة اثناسيوس دنحا مطران الرها المتوفي سنة ١١٩١م . "وقد دونا ما أصابه من المحن، والذين أثاروها أحيانا، وصاروا علة للفتن، في كتب أخرى، بوجه التفصيل" [٢٩].

أما بخصوص المصادر التي اعتمد عليها الرهاوي المجهول في تاريخه، فلا شك أن (التاريخ الكبير) لميخائيل السرياني، في مقدمتها، وهو ما دعا المستشرق البريطاني المختص بالسريانيات (سباستيان بروك) إلى القول: "وهو مستقل عن تاريخ ميخائيل في الكثير الغالب"[٣٠] . كما أن تاريخ ديونيسيوس التلمحري، المفقود، هو أحد المصادر الأساسية لهذه الحقبة الزمنية[٣١]، كما لا يمكن بهذا الصدد إغفال تاريخ الرها لـ(باسيل بن شومنة الرهاوي)، المتوفى سنة ١١٦٩م[٣٢]. وقد تكون هناك أيضا مصادر عربية إسلامية استعان بها المؤرخ، إذ يكتفي أحيانا بذكر السنين الهجرية. ولكننا عاجزون عن تشخيص هذه المصادر، إذ إن المؤرخ لا ينوه بها أي تنويه[٣٣].

ثالثا– ابن العبري

هو غريغوريوس ابا الفرج بن هارون بن توما الملطي، المعروف بابن العبري. ولد في ملطية (المصيصة) سنة ١٢٢٦م / ٦٢هـ، ونال في العماد اسم يوحنا [٣٤] . اما لقب (ابن العبري) فقد أتاه من أبيه الطبيب (هارون). وقد ذهب العديد من الباحثين والمستشرقين إلى أن أباه من أصل يهودي، كما يشير اسمه إلى ذلك، وأنه اعتنق النصرانية. إلا أن البطريرك برصوم،

ديـر الربان هرمز في القوش بالموصل ويضم قبر (ابن العبري)

والسريان الأرثودكس عامة، يستنكرون هـذا التعليل، ويقولون بـأن هـذا اللقـب جـاء إلى العائلة لولادة أحد أبنائها، أو لولادة هـارون نفسه في أثناء عبوره نهر الفـرات، مسـتندين في ذلك إلى بيت من الشـعر، جـاء في ديـوان المترجـم نفسـه، إذ يقـول: "إذا كـان سـيدنا المسيح سمى نفسه سامريا، فلا غضاضة عليك إذا دعوك بابن العبري[٣٥]، لأن مصـدر هـذه التسمية نهر الفرات، لا دينا معيبـا، ولا لغـة عبرية". بينما حاول باحث آخر الـدفاع عـن نظرية ابن العـبري بقولـه: "ولقـد كـان هـذا اللقـب باعثـا للغمـوض، بعـد أن ترجمـه الأوربيـون بـ (BarHebraeuse). وكان البعض اعتقد يوم كان ابن العبري على قيد الحياة، أن المترجم لـه ينتسـب إلى عائلـة عبرانية اعتنقت الدين المسيحي"[٣٦]، ويضيف قـائلا، بعـد أن يـورد بيـت الشـعر المـذكور أعـلاه، نقـلاً عـن برصـوم: "أمـا مـا يخـص برصـوم، أخـا ابـن العـبري، ومكمـل عملـه الأدبي، فمن الصعب أن نعطي تبريـرا لآرائه العنيفة المعادية لليهود، لو كـان أباه يهوديا"[٣٧].

وكان ابن العبري منذ نعومة اظفاره قد درس الطب، على يد أبيه، وتعلـم منه شـيئا كـثيرا [٣٨]، وحينمـا هجـم المغـول في صـيف١٢٣٣م/٦٣١هـ على ملطية، واستولوا عليهـا، هـاجر معظم سكانها إلى سوريا، غـير أن والـد ابـن العبري حضر عند القائد المغولي، إذ عالجه من مرض ألم به فبرأه، فسمح له القائد بالـذهاب مع أسرته إلى (أنطاكيـة)، الـتي كانـت تحـت قبضة الفرنجة الصليبيين. وفي (أنطاكية) انخرط (ابن العبري) في سلك الرهبانية، ثم توجه إلى (طرابلس)، ودرس الطب والفلسفة على يـد يعقـوب النسـطوري[٣٩]. وهـذا مـا دعـا المستشرق البولندي (بيترس)[٤٠] إلى القـول: إن (ابن العبري) كـان نسـطورياً ثـم انقلـب يعقوبيا منوفيستياً.

وفي سـنة ١٢٣٦م / ٦٤٤هـ رسـم البطريـرك (أغنـاطيوس الثـاني) ابـن العـبري أسـقفا علـى بلـدة (جوبـاس)، القريبـة مـن (ملطية)، وكان عمره عشرين عاما فقط. وإذ ذاك سمي (غريغوريوس)[٤١]، ثـم نقـل العـام التالي إلى أبرشـية لاقـبين. بعـدها دخـل ابـن العبري طرفاً في شقاق وقـع داخـل الكنيسـة اليعقوبيـة[٤٢]، فالـذي حـدث أن أغنـاطيوس

داود الثاني توفي سنة ١٢٥٢م /٦٥٠هـ، وتنافس لشغل كرسي البطريركية شخصان متخاصمان: هما هارون عنجور[٤٣]، ويوحنا ابن المعدني[٤٤]. وقد وقف ابن العبري في صف المرشح الأول، فنقله البطريرك ديونيسيوس إلى أبرشية حلب، غير أن هذه المدينة كانت موالية لابن المعدني، لذا قاموا بطرد ابن العبري من حلب، وعندها قرر ابن العبري الاعتزال في دير صوم، قرب حليفه عنجور[٤٥].

وبعد فترة عاد ابن العبري إلى حلب سنة ١٢٥٨م/٦٥٦هـ، وبقي فيها حتى عصر البطريرك أغناطيوس الثالث، الذي عينه (مفريانا) لكافة الكنائس اليعقوبية في المشرق، التي كانت آنذاك تحت السيطرة المغولية. وظل ابن العبري في منصبه حتى وفاته سنة ١٢٨٦م/٦٨٥هـ في مدينة (مراغة) عاصمة المغول الإيلخانيين. أما أخوه، الذي خلفه في منصبه، فقد نقل رفاته إلى دير مار متى[٤٦]، الواقع شرق الموصل، ويشاهد ضريحه هناك إلى الآن، وهو موضع إكرام النصارى[٤٧].

أما عن إنتاج (العبري)، فيقول (السمعاني): "إن ابن العبري منذ العشرين من عمره، وحتى نهاية حياته، لم يكفّ عن القراءة والكتابة[٤٨]، وقد وضع ٣٦ كتاباً في شتى صنوف المعرفة[٤٩]، وكتاباته شاهد على علمه الشامل، الذي تطرق إلى كل فروع المعارف البشرية، من: اللاهوت، والفلسفة، والنحو، والفلك، والطب، والتاريخ"[٥٠].

وتتمثل الإضافة الكبرى لابن العبري في مؤلفاته في التاريخ، موضوع بحثنا، فقد وضع تاريخاً عالمياً في حوليات ثلاث: التاريخ السرياني، وتاريخ الكنيسة باللغة السريانية، ثم التاريخ المختصر، الذي وضعه قرب نهاية حياته، بلغة عربية رصينة، تحت عنوان (مختصر تاريخ الدول)[٥١]، وإن كان المستشرق البريطاني (بروك) قال بأن العنوان الأصح لهذا الكتاب: (تاريخ مختصر الدول)[٥٢]. ولا شك في أن ابن العبري استفاد من كتابه التاريخ السرياني (تاريخ الزمان) من الوثائق العربية والسريانية

دير مار متي بالموصل

والفارسية، التي وقف عليها في مكتبة (مراغة)، التي كانت مدينة كبيرة، وإحدى عواصم المغول ، إلا أن المصدر الرئيسي لمعلوماته هو: (تاريخ ميخائيل السرياني)، الذي كتب قبل هذا العهد بثمانين سنة، فضلاً عن تاريخ يعقوب الرهاوي[٥٣]. وقد غطى ابن العبري تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة، وبذلك لخص لنا تاريخ ميخائيل السرياني بصورة كاملة.

يقسم ابن العبري كتابه (تاريخ الزمان) إلى إحدى عشرة حقبة، يخصصها للآباء من(آدم إلى يشوع)، والقضاة من (يشوع إلى شاوؤل)، والملوك العبرانيين، ثم يتطرق إلى الملوك الكلدانيين (بختنصر إلى بلشاصر)، والملوك الماديين (داريوس المادي)، وملوك الفرس (كورش إلى داريوس بن أرشم)، وملوك اليونان الوثنيين (من الأسكندر إلى كليوباترة)، والأباطرة الرومان (من أنطونيوس إلى يوستينس الثاني)، والملوك البيزنطينين المسيحيين (من يوستينس الثاني إلى هرقل)، وملوك العرب، وأخيرا إلى ملوك الهونيين[٥٤].

وقد اختصر ابن العبري كتابة (تاريخ الزمان)، ونقله إلى العربية بتصرف، قبيل وفاته، وأنجزه مدة شهر، وذلك نزولا عند رغبة بعض علماء مراغة المسلمين. وقد حافظ على تقسيم الحقب إلى إحدى عشرة، كما جاء في المصنف السرياني الأصلي (تاريخ الزمان)[٥٥]، وقام (بوكوك) بنشر الكتاب مع ترجمته اللاتينية في (أكسفورد) سنة ١٦٦٣م، ونشر (السمعاني) مقتطفات منه في المكتبة الشرقية، ونقله إلى الألمانية (لورنزبور) عام ١٧٨٣. وأخيرا طبعه (أنطون صالحاني) اليسوعي في بيروت سنة ١٨٩٠م، وأضاف إليها فهرسا لأسماء الأعلام، وتوفيقا بين السنوات الهجرية والميلادية[٥٦]، وأعيد طبعه في بيروت عام ١٩٥٨.

وعلى الرغم من إعجاب السريان اليعاقبة بعظمة ابن العبري[٥٧]، فإن المستشرقين يبدون كثيرا من التحفظ تجاهه، فهذا المستشرق البريطاني (ج. ب . سيغال) يقول بهذا الصدد: "لا نستطيع الاعتماد على المؤرخين الذميين، كي ينقلوا أحداث

عصورهم الرئيسية، لأنهم كانوا ينتمون إلى أقلية تعيش على انفراد، معزولين عن مجالس الملوك والأمراء، في هامشية سياسية، متفرجين لا مبالين ولا مكترثين لمجريات الأحداث، تتغلب عليهم الخيبة"[٥٨]. أما المستشرق الآخر (بيترس)، كبير جمعية البولنديين العامية، وهم اختصاصي علم سير القديسين المسيحيين، لم يتوان أن يكتب عن ابن العبري: "يضيف إلى الدونية الناتجة من تأخره زمنيا، كونه نسطوريا انتقل إلى مذهب اليعقوبية"[٥٩].

المبحث الثاني
الطوائف النصرانية الشرقية والموقف من الفرنجة الصليبيين

في مطلع القرن السابع الميلادي، كان النصارى مختلفون فيما بينهم، ومتفرقون إلى كنائس عديدة. وكان أساس الانقسام الذي فرقهم، هو اختلافهم حول تفسير طبيعة السيد المسيح (عليه السلام): هل هو بشر مخلوق، كسائر المخلوقات؟ أم هو الله المتجسد، الذي تأنس، فظهر بصورة (عيسى)[٦٠]. وبناء على ما تقدم، يمكن إجمال المذاهب النصرانية المختلفة، المنتشرة في العالم إبان طلوع فجر الإسلام، في خمسة مذاهب رئيسية، وهي:

١- المذهب الآريوسي (الموحدين)[٦١].
٢- المذهب النسطوري.[٦٢]
٣- المذهب اليعقوبي (المنوفيستي).[٦٣]
٤- المذهب الملكاني(الخلقيدوني– مذهب الدولة البيزنطية).[٦٤]
٥- مذهب المشيئة الواحدة (المونوتيلية).[٦٥]

أما المذهب الآريوسي، فقد كان قد اندرس بعد تعرضه إلى ضربات عنيفة من قبل رجال الدين، من أصحاب المذاهب النصرانية الأخرى، الذين يؤلهون السيد المسيح (أي: يجعلونه إلها، أو ابن إله) بالتعاون مع بعض أباطرة الدولتين الرومانية الشرقية (البيزنطية) والرومانية الغربية، على حدٍ سواء، وهذا ما بدا جليا في مقررات المجمع المسكوني الأول، الذي عقد في مدينة (نيقية) عام ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م.[٦٦]

أما المنوفستيون، فقد نظموا مذهبهم في ثلاثة كنائس قومية: كنيسة الأقباط في مصر، وكنيسة السريان اليعاقبة في بلاد الشام، والكنيسة الأرمنية في أرمينيا. وكانت الدولة البيزنطية قد خافت، في عهد إمبراطورها (هرقل) (٦١٠-٦٤١)، من أن ينظم هؤلاء إلى أعدائهم الفرس الساسانيين، فقام (سرجيوس) بطريرك الأسكندرية الملكاني بطرح المونوتيلية، كحل وسط بين المنوفستية والأثنينية الخلقيدونية.

الواجهة الأمامية لدير مار بهنام الشهيد واخته سارة

ويتلخص هذا المذهب بأن للمسيح مشيئة واحدة، أو فعالية واحدة. وقد جاءت الصيغة العقائدية على الشكل التالي: ((إننا نعترف بمشيئة واحدة في ربنا يسوع المسيح الإله الحقيقي)) [٦٧].

ففي سنة ٦٢٨م، بعد أن نجح الإمبراطور البيزنطي (هرقل) في حملته العسكرية ضد الفرس الساسانيين، قام بزيارة (دير مارون) في جبل لبنان، ليتدارس مع رهبانه في اتخاذ السبل الكفيلة بجمع شمل الكنائس النصرانية حول مذهب واحد. وقد نجح (هرقل) في استمالة هؤلاء الرهبان للمذهب، الذي بلوره مع الأسقف ماسبيدونيوس (مذهب الإرادة الواحدة)، بهدف رأب الصدع مع أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المنوفستيين)، ومع أتباع مجمع خلقيدونية (الملكانيين – أصحاب الطبيعتين). وهذا ما جعل جماعة من سريان لبنان (الموارنة) يتبنون هذا المذهب. [٦٨]

ومع مرور الوقت ظهر عاملان ساعدا في تحرير الكنيسة المارونية من المؤثرات الغربية: العامل الأول تمثل في الفتح الإسلامي لبلادهم (لبنان)، الذي وضع حدا للاضطهادات التي كانت تمارسها الإمبراطورية البيزنطية ضد الكنائس الشرقية. والعامل الثاني، أنه في القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري)، تم إبعاد بطريرك أنطاكية الملكاني إلى القسطنطينية، وعندها قرر اللبنانيون اختيار بطريرك من بينهم، ليحمل لقب (بطريرك أنطاكية والمشرق)، وهو اللقب الذي يتحلى به حتى اليوم. [٦٩]

ومهما يكن من أمر، فإن الإمبراطورية البيزنطية اعتمدت صيغة الإرادة الواحدة (المشيئة الواحدة للمسيح) طيلة أكثر من أربعين عاما. ثم حين جاء الإمبراطور (قسطندس الرابع) أقنع البابا (أغاثون) بعقد مجمع في القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م: فكفر هذا المجمع أصحاب مذهب الإرادة الواحدة (المونوتيلية)، بمرسوم عقائدي، عادوا فيه من جديد إلى النص العقائدي لمجمع خلقيدونية، المنعقد عام ٤٥١م[٧٠].

أولا: النساطرة

أما النساطرة، فبحسب قرارات مجمع أفسس، عام ٤٣١م، اعتبروا مهرطقين وخارجين عن إجماع الكنيسة النصرانية[٧١]، لذلك التجأوا إلى الإمبراطورية الساسانية، هربا من أساليب القمع والاضطهاد، والتي كانت الإمبراطورية البيزنطية، صاحبة المذهب الملكاني، تمارسها ضدهم. لذلك عاشوا في أمان في بلاد ما بين النهرين وإيران والمنطقة الكوردية. وعند مجيء الحملات الصليبية إلى بلاد الشام، لم تحدث أية احتكاكات بينهم وبين الصليبيين، لأسباب جغرافية وعقائدية. لذلك لا يستطيع الباحث أن يتكهن بما سيكون الموقف، لو حدث تماس بين الجانبين. وعلى أية حال هناك رسالة موجهة من بطريرك النساطرة (صبر يشوع الخامس)، إلى البابا (بندكتوس الرابع)، في سنة ١٢٤٧م، توضح – إلى حد ما – حقيقة ومشاعر النساطرة تجاه إخوانهم في الدين: الفرنجة الصليبيين: "كان من الواجب على كنائس المسيح كلها، وعلى الأديرة، وكل المؤمنين في الشرق والغرب، أن يلبسوا المسوح، ويجلسوا للأحزان، ويبكوا على بيت المقدس، وعلى ما حل به في أيامنا".[٧٢]

ثانيا : الملكانيون (الخلقيدونيون):

لما كان النصارى الملكانيين من أنصار الدولة البيزنطية، فإن غالبيتهم التحقت بالجيوش البيزنطية المنهزمة، بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر، وغيرها من المناطق. ولم تبق إلا جاليات صغيرة، عاشت في المدن المهمة، التي كانت مقرا للبطريركيات الملكانية، مثل: بيت المقدس والأسكندرية وأنطاكية.[٧٣]

ومن جانب آخر، فإن الكنيسة الملكانية كانت قد انقسمت سنة ١٠٥٤م / ٤٤٦ هـ، بفعل عوامل لاهوتية وطقسية وتنظيمية ولغوية وقومية، إلى كنيستين، هي: الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية الشرقية، ومقرها في القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، برئاسة البابا، ومقرها في (روما).[٧٤] لذلك لم يكن للملكانيين، أو بعبارة أخرى: أتباع الكنيسة الأرثوذكسية، شأن يذكر أثناء الحملات الصليبية على

المشرق الإسلامي. ويذكر أحد الباحثين النصارى المعاصرين، سجلا بالانتهاكات التي قام بها الفرنجة الصليبيون ضد إخوانهم في الدين: (الأرثوذكس). ونحن إذا تصفحنا ما فعلته القيادات الصليبية، العسكرية والدينية، بالبطريركية المقدسية والأنطاكية، التابعتان للكنيسة الأرثوذكسية، أدركنا لماذا لم يلب من النصارى (الروم الأرثوذكس)، إلا قلة، التعاون مع المهاجمين[٧٥]. لذلك أبدل الصليبيون البطريركية الأرثوذكسية المقدسية (أورشليم) ببطريركية لاتينية. وبذلك زالت البطريركية الأصلية، ولو مؤقتا. وقد التجأ البطريرك الأرثوذكسي (سمعان الثاني) إلى جزيرة قبرص. وبعد وفاته انتخب بطريرك لاتيني، وكذلك بدلوا الطقوس والعوائد حتى أصبح كل شيء لاتينياً. ولكن هذه المحاولة ولدت كراهية لـ(اللاتين) في نفوس (الروم الأرثوذكس)، حيث أصبحوا ينتظرون بفارغ الصبر زوال هذا الملك المسيحي. ولما استرجع (صلاح الدين) بيت المقدس سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ، أخذ البطريرك الأرثوذكسي يقيم في المدينة المقدسة. أما بطريرك اللاتين، فقد أقام بعدها في (عكا)، التي أصبحت عاصمة لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وحتى سنة ١٢٩١م.[٧٦]

ثالثا: الكنائس المنوفستية (أصحاب الطبيعة الواحدة)

لا بد من الإشارة إلى أن الكنيسة المنوفستية قد انقسمت إلى عدة كنائس قومية، وهي: (كنيسة الأقباط في مصر والحبشة – كنيسة السريان اليعاقبة في بلاد الشام – كنيسة الأرمن في أرمينيا).[٧٧]

١– كنيسة الأقباط:

بخصوص موقف السريان الأقباط من الغزو الصليبي، لا توجد في المصادر روايات تفيد بحصول مجالات من التعاون والتنسيق بين الجانبين. فالصليبيون، باعتبارهم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، كانوا يحاولون بشتى السبل إرجاع الأقباط إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية دون جدوى.[٧٨]

ورغم سياسة الدولة الفاطمية، المتسمة بالتسامح تجاه الأقباط، إلا أن هذا لم يحل دون فرض بعض الضرائب الإضافية عليهم، لمواجهة الخطر الصليبي في بلاد الشام. كذلك كانت لدى الفاطميين مخاوف وشكوك في موقف الأقباط تجاه الصليبيين، الذين احتلوا فلسطين، وأجزاء من الساحل الشامي، وباتوا يهددون مصر نفسها. وبطبيعة الحال لم يكن الفاطميون على دراية بالخلافات المذهبية بين الأقباط، أتباع مذهب

الطبيعة الواحدة، وبين الصليبيين، أتباع مذهب الطبيعتين. ومن ثم فقد اختلط الأمر بالأذهان، على حد تعبير أحد الباحثين المعاصرين: "على أساس أن هؤلاء وأولاء كانوا في نهاية الأمر على دين واحد، وهو المسيحية. ومن ثم كان من الضروري مراقبة سلوك الأقباط عن كثب، من جانب السلطات الفاطمية. وظل هذا الموقف سائدا في الدوائر الرسمية، طيلة الفترة المأساوية للعدوان الصليبي على المنطقة".[٧٩]

ولقد توضحت عداوة الصليبيين للأقباط عندما قاموا بمنعهم من الحج إلى كنيستي المهد والقيامة. وكان الأقباط حريصين على القيام بهذه الزيارة إلى الأماكن المقدسة النصرانية في فلسطين، ولذا فإن موقف الصليبيين العدائي هذا قد أصابهم بالأسى الشديد.[٨٠]

٢- السريان اليعاقبة

كان السريان اليعاقبة يعانون من اضطهاد شديد من قبل الكنيسة الملكانية (الخلقيدونية)، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، ولم تسنح لهم الفرصة للخلاص من العذاب والمشقة، مثلما فعل نظراؤهم النساطرة، الذين عبروا الحدود البيزنطية، قاصدين الإمبراطورية الساسانية، للاحتماء بها، وطلب الأمان. لذا، فإن السريان تعرضوا إلى مشقات كثيرة، لأن غالبية ديارهم وأديرتهم تقع ضمن النفوذ البيزنطي، لذلك صبت الكنيسة الملكانية البيزنطية جم غضبها عليهم، واعتبرتهم هراطقة، وهذا ما دعى الكنيسة البيزنطية إلى محاولة إرجاعهم إلى حضن كنيسة الأم (كنيسة القسطنطينية)، عن طريق الترهيب والترغيب، دون جدوى.[٨١]

ولكن الانقسام الذي دب في الكنيسة النصرانية الأم، وشطرها إلى قسمين: الكنيسة الأرثوذكسية، والكنيسة الكاثوليكية، غير مواقف بعض الطوائف النصرانية الشرقية، وهذا ما يبدوا واضحا في كلام بطريرك السريان اليعاقبة (ميخائيل السرياني)، بقوله: "لقد تعهد الإفرنج (الصليبيون) أمام الله في حالة دخولهم القدس، بأن يعطوا الأمان لكافة الكنائس المسيحية، ويعطوا كنائس وأديرة لكل شعب مؤمن بالمسيح"[٨٢]. كذلك فإن موقف نصارى المشرق قد تغير، إثر سيطرة السلاجقة الأتراك على غالبية المدن والمناطق التي كانوا متركزين فيها[٨٣]. غير أن المؤرخ (الرهاوي المجهول) يحدد بداية الغزو الصليبي "بالسنة الحادية والخمسون لاستيلاء الأتراك (السلاجقة) على هذه البلدان..."[٨٤]. لذا، فإذا كانت الكنيسة الملكانية الخلقيدونية قد أذاقت نصارى المشرق الويل والثبور، فإن الفرنجة الصليبيون، الذين ينتمون إلى كنيسة أخرى (الكاثوليكية)، ربما جاؤوا محررين للنصارى بكافة مذاهبهم، لا سيما وأن

هدفهم كان استرداد الأماكن المقدسة النصرانية في فلسطين. ويذكر (الرهاوي) رواية بهذا المعنى: "ولما سمع الرهاويون (السريان والأرمن) أن الفرنج وصلوا وحلوا في حدود أنطاكية، اقتربوا من تاودوروس بن حاتم (هيثم) وقالوا له: نريد أن ترسل فتجلب لنا عونا من جنود الفرنج، لكي يحموا المدينة من نهب الأتراك..."[٨٥].

٣- الأرمن

تتفق كل المصادر الإسلامية، والسريانية، وغيرها، على أن حاكم مدينة الرها الأرمني (توروس بن هيتوم) قد سلم مفاتيح المدينة إلى القائد الصليبي (بلدوين).[٨٦]

إن المبادأة التي قام بها الرهاوين حينذاك، غير مؤكد أنها كانت بإيعاز وإلحاح من (توروس بن هيتوم). وهناك رواية – قد تكون قد اخترعت فيما بعد– تؤكد أن (توروس) كان متيقنا بأن الرهاويين سيطلبون من الصليبيين دخول المدينة، مهما كان رأيه، ولذلك تعاون معهم ضد إرادته[٨٧]. وعلى كل حال، فإن بعثة من وجهاء المدينة، برئاسة مطران طائفة الأرمن،[٨٨] ذهبت لاستقبال (بلدوين) على (تل بشير)، الواقع غرب المدينة، ودعوه ليدخل (الرها). فقابل اقتراحهم بفرح، وشعر الصليبيون أن ذلك فأل حسن، ففرحوا، وقالوا: "مثلما آمنت الرها بالمسيح قبل القدس، هكذا فإن المسيح أعطانا إياها قبل القدس"[٨٩].

أما بشأن مدينة سقوط أنطاكية بيد القائد الصليبي (جود فري)، فقد أكد ميخائيل السرياني أن ذلك جرى بسبب خيانة أخَوان أرمنيان، مسؤولان عن برج الحراسة.[٩٠]

وقد تزامن هجوم الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، مع قيام مملكة أرمينية الصغرى، التي كانت قد تنامت في إقليم (كليكيا)، الواقع جنوب الأناضول، على ساحل البحر الكبير (المتوسط)، واتخذت من مدينة (سيس)[٩١] عاصمة لها. وقد توالى على حكم هذه المملكة أسرتان أرمنيتان: الأولى من طبقة البارونات، والثانية ممن تلقبوا بالملوك، وهما أسرة (روبين)، التي حكمت ما بين أعوام (١٠٨٠-١٢١٩م / ٤٧٣-٦١٦ هـ)، ثم أسرة (هيثوم)، من (١٢٢٦ – ١٣٧٥م / ٦٢٤ – ٧٧٧هـ).[٩٢]

ولقد أقامت هاتان الأسرتان علاقات ودية مع الصليبيين، كما انضم الأرمن إلى الصليبيين في قتالهم ضد السلاجقة. وقد توثقت العلاقة بين الأرمن والصليبيين بالمصاهرة أيضا، فقبل أن يقيم الصليبيون مملكة بيت المقدس اللاتينية، تزوج القائد الصليبي (بلدوين) من (مورفيا)، ابنة الأمير الأرمني (جبريل)، من الرها.[٩٣]

رابعا: الموارنة

عندما هاجمت الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، بدأ اتصال الموارنة بالغزاة الصليبيين، وبالكنيسة الكاثوليكية. وكان الموارنة، مثلهم في ذلك مثل (الأرمن) قد رحبوا بقدوم الصليبيين إلى المنطقة، وتعاونوا معهم ضد المسلمين.[٩٤]

ومنذ بداية الحروب الصليبية، بدا واضحاً أن الموارنة قد ألقوا بأنفسهم في حضن الصليبيين الغزاة. وكان الموارنة يعملون كأدلاء للصليبيين في الممرات والمسالك الجبلية والوديان، في بلاد الشام، وعلى طول الساحل، ومن ثم قدموا الكثير من العون للحملة الصليبية الأولى. بل إن هذا التورط قد زاد عندما دخلت فرقة من رماة الرماح الموارنة للخدمة في صفوف الصليبيين. ثم ما لبث الموارنة أن تصاهروا مع الصليبيين، ومن هذه الزيجات المختلفة خرج نسل مهجن، ممن عرفوا في المصادر باسم (الأفراخ – Pullani). كما أن عدداً من الموارنة قد استقروا مع الصليبيين في إمارة طرابلس، التي استولى عليها الصليبيون[٩٥].

كما أن الكهنة الموارنة أخذوا يستخدمون الطقوس الكاثوليكية في كنائسهم، وهي طقوس غريبة على ميراث الكنائس الشرقية، من قبيل تزيين الرأس بالتاج الروماني، والتزيّ بمنطقة من الجلد حول الوسط. كما أن الكثيرين من أبناء الموارنة كانوا يترددون على الكنائس الصليبية الكاثوليكية. ويذكر المؤرخ الصليبي (وليم الصوري) أن أربعين ألفا من الموارنة نزلوا من جبالهم، في شكل جماعي، لينفصلوا عن هرطقتهم الدينية (مذهب الإرادة الواحدة)، وليعلنوا إيمانهم بالمذهب الكاثوليكي، والخضوع للبابا الروماني، وذلك أمام بطريرك أنطاكية الصليبي (عموري)، وهذا الرقم إنما يشير إلى الذكور فقط. مما يعني أن عدد الموارنة، بما في ذلك نساء وأطفال هذه المجموعة، كان يربو على مائة ألف في القرن الثاني عشر. ونجد المعلومات نفسها عند الرحالة الصليبي الدومنيكاني (بيركهارد) عام ١٢٨٣م / ٦٨٢هـ، إذ أنه يذكر أن الموارنة في مقدورهم تقديم أربعين ألف من المحاربين، للخدمة مع الجيوش الصليبية.[٩٦] ❐

المصادر والمراجع والهوامش:

[١] ملطية: بلدة تقع في بلاد الروم تتاخم الشام، هي من بناء الأسكندر الكبير المكدوني، وجامعها من بناء الصحابة. قال خليفة بن خياط: في سنة ١٤٠ هـ وجه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عبدالوهاب من إبراهيم الإمام لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة. ينظر: (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٩٨٦، مج ٥ ص ١٩٢-١٩٣.

[٢] دير برصوم: دير يقع على رأس جبل يشبه القلعة، ولذلك سماه بعضهم دير الكهف، يقع بالقرب من مدينة

ملطية، ذكر في التاريخ الكنسي سنة ٧٩٠م، وصار كرسيا بطريركيا للسريان اليعاقبة في القرن الحادي عشر حتى أواخر الثالث عشر، وكان ديرا عظيما دعم الكنيسة السريانية بخمسة بطاركة وأربعة وثلاثين مطرانا، وظل عامرا بأهله حتى أواسط القرن السابع عشر، ثم عصف الدهر بأهله. ينظر(أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره يوحنا إبراهيم، سلسلة التراث السرياني، حلب، الطبعة الخامسة ١٩٨٧، ص٥٠٩.

[٣] ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٤٣٤.

[٤] برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٥. يوسف حبي، التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي– هيئة اللغة السريانية، بغداد ١٩٨١-١٩٨٢م، مج ٦ ص ٨٢.

[٥] ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص٤٣٥.

[٦] عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢٤٥.

[٧] ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية، ص٤٣٥.

[٨] ألبير أبونا، المرجع السابق، ص٤٣٤-٤٣٥.

[٩] الألبيون AlBigenses: أتباع حركة دينية منشقة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا، مناهضة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والتي كانت تعارض نمو مدن العصر الوسيط. وكان أحد مراكز الحركة يقع في بلدة (ألبي)، في المقاطعة الفرنسية (لانجدوك). وقد رفضوا مبدأ التثليث، والأسرار المقدسة للكنيسة، وتبجيل الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بسلطة البابا. وبعد أن أعلن البابا أنهم ملعونون أقاموا كنيستهم الخاصة بهم، وأعلنوا استقلالهم عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وقد شن البابا أنوسنت الثالث حملة صليبية عليهم، عام ١٢٠٩م، انتهت بهزيمتهم هزيمة نهائية، وتم قمعهم بصفة نهائية، مع نهاية القرن الثالث عشر. ينظر: (المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي، مراجعة: عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ص١٢٠)

[١٠] روبنس دوفال، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة: لويس قصاب، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك، ص٢١٩. ألبير أبونا، المرجع السابق، ص٤٣٨.

[١١] برصوم، المرجع السابق، ص٣٩٥. ألبير أبونا، المرجع السابق، ص٤٣٨.

[١٢] سبستيان بروك، القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية، ترجمة: زيا نمرود كانون، مجلة المجمع العراقي– العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد، ١٩٨٩، مج١٣ ص٧٧.

[١٣] يوسبيوس القيصري،: عرف أيضا باسم (يوسبيوس بامفيلي). كاتب روماني في المسائل الكنسية، ومؤرخ كان أسقف قيصرية بفلسطين، ما بين ٣١١ حتى وفاته سنة ٣٤٠م. أهم مؤلفاته تاريخ المسيحية عام ٣٢٤م، حياة الإمبراطور قسطنطين. وكان يوسبيوس من أوائل الكتاب المسيحيين الذي حاولوا التوفيق بين منجزات العلم الكلاسيكي، ومصالح الكنيسة المسيحية. ينظر: (المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ص٢١٢).

[١٤] ألبير أبونا، مرجع سابق، ص٤٣٨. سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، ص٢٤٨.

[١٥] يوحنا الآسيوي، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة: صلاح عبد العزيز محجوب، تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص٢٤.

[١٦] يوسف حبي، التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية، بغداد، ١٩٨١-١٩٨٢، مج٦، ص٨٥.

[١٧] أغناطيوس أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، سلسلة التراث السرياني، حلب، الطبعة الخامسة، ١٩٨٧م، ص١٣٠.

[١٨] المرجع السابق، ٤٠٣.

[١٩] الرهاوي المجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، عربه عن السريانية ووضع هوامشه: الأب ألبير أبونا، بغداد، ١٩٨٦، ص٧، بقلم المعرب.

[٢٠] حنا فييه، كنيسة المشرق قبل الإسلام، تعريب: جاك إسحق، مجلة بين النهرين، بغداد، السنة الأولى، العدد الثاني، نيسان، ١٩٧٣، ص١٥٩.

[٢١] الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص٨ تعليم المعرب.

[٢٢] أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٠٣-٤٠٤.

[٢٣] كوركيس عواد: من أفذاذ البطاركة السريان في العصر الحديث، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد، مج٩ ص١٢٩.

[٢٤] الرهاوي المجهول، مصدر سابق، ص٥ تقديم المعرب.

[٢٥] برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٠٤. ويذكر برصوم بطريرك الأرثوذكس، أن زميله أفرام الثاني رحماني، بطريرك السريان الكاثوليك، نشر الجزء الأول من تاريخ الرهاوي، ولكنه وقع في أخطاء بسبب العجلة، لذا عندما نشره بالتعاون مع المستشرق الفرنسي شابو، تلافى هذه الأخطاء. ينظر: (اللؤلؤ المنثور، ص٤٠٤).

[٢٦] يوسف حبي، التواريخ السريانية، مج٦ ص٨٥-٨٦.

[٢٧] حنافيي، كنيسة المشرق قبل الإسلام، ص١٥٩ هامش٤.

[٢٨] الرهاوي المجهول، مصدر سابق، ص٥.

[٢٩] برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٠٤.

[٣٠] س.ن بروك، القرن التاسع الميلادي في المصادر السريانية ، ترجمة زيا نمرود كانون ، مجلة المجمع العلمي العراقي –العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩ ، مج١٣ ص٧٧

[٣١] المرجع نفسه ، مج١٣ ص٧٧

[٣٢] يوسف حبي : التواريخ السريانية ، مج٦ ص٨٥ ، وقد أخذ يوسف حبي عندما حدد تاريخ وفاة باسيل ب ١١٧٠م والصحيح ما أثبتناه .

[٣٣] الرهاوي المجهول : المصدر السابق ، ص١٠ تقديم المعرب

[٣٥] برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٣ ، وهناك خلاف في شطر البيت ما بين مؤلف أبونا وبرصوم ، حيث يذكر أبونا محل سيدنا عيسى لفظة (الرب) نقلا عن ديوان ابن العبري المطبوع في ديرمارمرقس بالقدس سنة ١٩٢٩ ص٧١ .

[٣٦] ابن العبري ، أبو الفرج جمال الدين : تاريخ الزمان ، نقله الى العربية إسحق أرملة ، قدم له جان موريس فييه ، دار المشرق – بيروت ١٩٩١ ص١١

[٣٧] ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٢ تقديم

[٣٨] برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٣

[٣٩] ألبير أبونا : أدب اللغة الآرمية ، ص٤٤٧ ، عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة إسحق عبيد – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ، ص٢٤٨

[٤٠] ألبير أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٧-٤٤٨ ، ابن العبري تاريخ الزمان ، ص١٦ تقديم

[٤١] برصوم : المرجع السابق ، ص٤١٣ ، أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨

[٤٢] أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨ ، سوريال : المرجع السابق ، ٢٤٩

[٤٣] ديونيسيوس عنجور : تولى السدة البطريركية للسريان في ١٤ أيلول سنة ١٢٥٢م، وبينما كان يصلي في كنيسة دير برصوم، الواقعة بالقرب من ملطية، في أيام صوم نينوى، قتله الراهب سرجيوس والدياقون باسيليوس ورجل آخر يدعى إبراهيم – طالع السلاسل التاريخية للفيكونت دي طرازي ص٢٢ حاشية ٢ . ينظر : (ألبير أبونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٣ هامش١٥٠).

[٤٤] يوحنا ابن المعدني : ولد هارون في نهاية القرن الثاني عشر، في جوار (معدن) القريبة من دياربكر (آمد)، ولبس الأسكيم الرهباني (وسيم) كاهنا ، وصار كاتب أسرار لديونيسيوس عنجور، الذي كان مطران ملطية. ثم سيم مطرانا لماردين، ثم رقاه البطريرك أغناطيوس الثالث مفريانا للمشرق، وبعد ذلك اغتال أحد الأكراد في طور عبدين مفربان المشرق ديونيسيوس صليبا، وبعد نزاعات عديدة أصبح بطريركا لكنيسة السريان اليعاقبة إلى ١٢٦٣م حيث وافاه الأجل، ودفن في دير الباقسماط، الواقع في منطقة سيس بكيليكيا، جنوب غرب الأناضول

. ينظر : (برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٥٢-٥٣ ، ألبير أبونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٢-٤٤٣) .

[٤٥] ألبير أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٨، سوريال : المرجع السابق ، ص٢٤٩

[٤٦] دير مار متى : دير عظيم رفع بناؤه في أواخر القرن الرابع الميلادي، وصار كرسيا مطرانيا، وهو كذلك إلى وقتنا الحاضر، حوى في حقبتها الأولى مجموعة كبيرة من الرهبان، وتقلبت به الأحوال، حتى جدد عام ١٨٤٥م، أنجب بطريركيين، وستة مفارنة، وثلاثة وثلاثين أسقفا. ينظر : (برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٥١٤).

[٤٧] برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص٤١٢، ألبير أبونا : أدب اللغة الآرامية ، ص٤٤٩، ابن العبري المصدر السابق ، ص١٢ تقديم

[٤٨] أبونا : المرجع السابق ، ص٤٤٩

[٤٩] صليبا شمعون : ابن العبري غريغوريوس أبو الفرج ، الكاتب السرياني – عدد خاص ، بغداد ١٩٨٦ ، ص٦٣

[٥٠] لويس ساكو : مادة ابن العبري ، معجم الأدب السرياني ، منشورات المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية – لجنة الملجم ، بغداد ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ١٤ ص٥٧-٦٠

[٥١] رونبس دوفال : تاريخ الأدب السرياني ، ترجمة لويس قصاب ، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك بغداد – العراق ١٩٩٢ ، ص٢٢١-٢٢٢ ، برصوم : المرجع السابق ، ص٤٢٤-٤٢٥ ، أبونا : المرجع السابق ، ٤٥٦-٤٥٨

[٥٢] بروك : القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية ، مج١٣ ص٧٩

[٥٣] دونال : تاريخ الأدب السرياني ، ص٢٢١ ، برصوم : المرجع السابق ، ص٤٤٢٥ ، أبونا : المرجع السابق ،ص٤٥٧ ،سوريال : المرجع السابق ، ص٢٥٠

[٥٤] أبونا : المرجع السابق ،ص٤٥٧ ، وقد نشر برنس وككيرش هذا التاريخ بجزئين في ليبسيك بألمانيا سنة ١٧٨٩ ، ثم نشره بالعربية القس إسحق أرملة في مجلة المشرق البيروتية، ما بين سنين ١٩٤٩ و١٩٥٦، ونشرت دار المشرق هذه الترجمة في مجلد واحد سنة ١٩٨٦، بتقديم الباحث الدومنيكي جان موريس فييه. وترجمه إلى الإنكليزية، وطبعه بجزئين في أكسفورد سنة١٩٣٢. وكان بيجان قد نشر نصه في باريس سنة ١٨٩٠، وأعاد نشره المطران جيجك في هولندا، وجاءت منه نقول إلى العربية في مجلة النجم الكلدانية بالموصل لسنة ١٩٣٠. ينظر: (دوفال : المرجع السابق ، ص٢٢١ ، أبونا : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ هامش ٢٠٢ ، ابن العبري : المصدر السابق ، ص١٩ تقديم).

[٥٥] برصوم : المرجع السابق ،ص٤٢٥ ، أبونا: المرجع السابق ، ص٤٥٧

[٥٦] دوفال : المرجع السابق ، ص٢٢١-٢٢٢ ، أبونا : المرجع السابق ، ص٤٥٨-٤٥٩

[٥٧] برصوم : اللؤلؤ المنثور ، لقد سطر البطريرك صفحات كثيرة في ترجمة ابن العبري، بلغت أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ، وهكذا الأمر بالنسبة لغالبية علماء السريان، الذين أرخوا لأبن العبري، واعتبروه أحد أعظم الشخصيات الذين أنجبتهم الكنيسة طيلة تاريخها. قارن بهذا الصدد ترجمة ابن العبري في أدب اللغة الآرامية للكاهن العراقي ألبير أبونا ص٤٤٥-٤٦٠ والمصادر والمراجع التي يحيل عليها .

[٥٨] ابن العبري : مصدر السابق ، ص١٤ ،١٦ تقديم.

[٥٩] أبونا : مرجع سابق ، ص٤٤٨ نقلا عن بتريس في كتابه أبحاث، ص١١٩ ، حنافيي : مصادر كنيسة المشرق قبل الإسلام ، ص١٦٠ ، وقد انتقد (فيي) (ابن العبري) على إطلاقه لقب المفريان على من تولوا رئاسة كنيسة تكريت منذ البداية، مع أن هذا اللقب أطلق متأخرا. ينظر: المرجع السابق ص١٦٠ .

[٦٠] سعد رستم : الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، الأوائل للنشر واالتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ ه – ٢٠٠٤ م، ص ٢١.

[٦١] الأريوسية : ينسب هذا المذهب إلى الكاهن الليبي آريوس، الذي درس في مدرسة لوسيان اللاهوتية في مدنية أنطاكية، وبعد أن تم ترسيمة قسيسا في كنيسة الأسكندرية، عام ٣١٩م، اختلف مع أسقف الأسكندرية

اثناسيوس حول إلهية المسيحية، وأظهر عقيدته التي مؤداها نفي إلهية المسيح، واعتبارة مخلوقا. وقد أدى اللغط وتصارع الآراء الذي أثاره تعليم آريوس إلى عقد أول مجمع مسكوني (عالمي) فى مدينة نيقية (أزنيك التركية) عام ٣٢٥م، والذي حضره ٣١٨ أسقفا، ثم ذهب أكثريتهم إلى النص على العقيدة التي اشتهرت باسم العقيدة النيقاوية، والتي صارت دستور الإيمان المسيحي الأرثوذكسي، كما تم نفي آريوس إلى مقاطعة الليريا في البلقان بسبب عقيدته. ينظر: (محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص٤٧. أحمد شلبي: مقارنة الأديان المسيحية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص١١٣. محمد عطا الرحيم: محمد نبي الإسلام، ترجمة فهمي شما، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٢٨-١٢٩.

[٦٢] النسطورية : تنسب هذه الفرقة إلى البطريرك نسطوريوس، الذي نصبه الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس (٣٩٥- ٤٣٠م) بطريركا على القسطنطينة سنة ٤٢٨ م، وقد رأى نسطوريوس أن هناك أقنوما وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الأب وتنسب إليه، وطبيعة الإنسان قد ولدت من مريم، فمريم هي أم الإنسان- وليست أم الإله – وقد مهد نسطوريوس ذلك الأساس للقول بطبيعتين أو أقنومين: أقنوم الإنسان، وأقنوم الله، ولا أن تسمى مريم العذراء أم الله، بل هي بشر ولدت المسيح بالشخصية البشرية، وأن المسيح مات على الصليب كإنسان، فاعتبرت تعاليم نسطوريوس هرطقة، وبدعة ضالة، تخالف المبادئ الرئيسية التي تدين بها الكنيسة، وعلى إثرها انعقد مجمع أفيسس (مدينة تقع جنوب غرب تركيا حاليا بالقرب من أزمير) سنة ٤٣١ م. واتهم نسطوريوس بالضلال والاتحاد، وتم عزله من أسقفيته، ومن ثم نفي إلى أحد الأديرة القديمة في أنطاكية ومنها إلى مصر، حيث توفي سنة ٤٥١م. ينظر: (فرست مرعي : دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كردستان، منشورات آراس أربيل، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ص ٥١-٥٢).

[٦٣] اليعقوبية : تطلق هذه التسمية على المسيحيين من الطائفة السريانية المنوفيستية، وذلك نسبة إلى يعقوب البرادعي، الذي سيم أسقفا سرا عام ٥٤٣م، وتمكن من مراوغة شرطة الإمبراطور البيزنطي يوستنيانوس، وجاب البلاد لتنظيم الكنيسة المنوفيستية، التي من تعاليمها القول بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح. وهي بالمعنى الحرفي تشمل جميع المذاهب التي لا ترى في الكلمة المتجسدة إلا طبيعة واحدة بعد اتحاد العنصرين البشري والإلهي. وقد تبنى هذه البدعة كل من أوطيخا في القسطنطينية وديوسقورس في الأسكندرية. إلا أن سويروس بطريرك أنطاكية (٥١٢- ٥١٨) قال بمنوفيستية كلمية أصبحت هي الرسمية. وهذه تؤكد على وحدة الأقانيم في المسيح دون إنكار وجود العنصر البشري في تماميته الفردية، وقد اعتبر هذا المذهب مخالفا لرأي الكنيسة، وتم عقد مجمع خلقيدونية في سنة ٤٥١ م، حيث تم التأكيد على أن (الكلمة الإلهية، الابن الوحيد لله، المولود من العذراء مريم، هو على الصعيد البشري ذو طبيعتان لا تختلطان ولا تتغيران ولا تتجزآن ولا تفترقان). وأن الكنائس المنشقة عن التعاليم الخلقيدونية هي : السريانية (اليعقوبية) والأرمنية والقبطية والحبشية. ينظر:(هندي . عبودي : معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس، لبنان ، الطبعة الأول ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . ص٨٢٣-٨٢٤ ، ٩١٧).

[٦٤] الملكانية :- وهم غالبية النصارى الذين خضعوا لمقررات مجمع خلقيدونية، الذي حرم المونوفيستية، مؤكدا على أن للمسيح طبعتين إلهية وبشرية، وقد دعاهم المنوفيستيون بهذا الاسم على سبيل السخرية، لأنهم انحازوا في موقفهم هذا إلى الملك البيزنطي الذي أعلن قبوله تلك المقررات. ينظر: (سعد رستم: المرجع السابق، ص٢٩) .

[٦٥] المونوتيلية: وهو المذهب القائل بأن للمسيح طبيعتان، لكن له مشيئة واحدة (إرادة) واحدة، والمغزى من هذا المذهب هو وضع حد للخلاف بين المنوفيستيين والخلقيدونيين لتوحيد الإمبراطورية والكنيسة معا في وجه الأطماع الخارجية المتمثلة بالفرس الساسانيين. والفئة

الوحيدة التي قبلت هذا المذهب هم أتباع الكنيسة المارونية في لبنان، رغم اعتراض اثنان من كبار لاهوتيي العصر آنذاك، وهم: صفرونيوس بطريرك بيت المقدس، الذي سلم مفاتيح المدينة للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، والثاني مكسيموس. ينظر (نقولا زيادة: المسيحية والعرب، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص١٧٩).

[٦٦] غسان دمشقية: لاهوت التحرير، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١١٢ وما بعدها.

[٦٧] المرجع نفسه، ص١٢٣-١٢٤.

[٦٨] نقولا زيادة: مرجع سابق، ص١٧٩.

[٦٩] عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص٤٩٠.

[٧٠] سعد رستم: المرجع السابق، ص٢٢-٢٣.

[٧١] لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص٩٠-٩١.

[٧٢] جان موريس فييه: أحوال النصارى، ص٣٥٨ نقلا عن شموئيل جميل في كتابه العلاقة بين الكنيسة الكلدانية والمجمع الشرقي.

[٧٣] نقولا زيادة: مرجع سابق، ص١٩٣و ما بعدها.

[٧٤] سعد رستم: مرجع سابق، ص٣٣ وما بعدها.

[٧٥] نقولا زيادة: مرجع سابق، ص١٩٣.

[٧٦] عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص٧٨-٩١.

[٧٧] غسان دمشقية: لاهوت التحرير، ص١٢١-١٢٢.

[٧٨] محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص١٧١-١٧٢.

[٧٩] عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص١١٤.

[٨٠] المرجع نفسه، ص١١٤-١١٥.

[٨١] نقولا زيادة: مرجع سابق، ص١٩٣ .

[٨٢] تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣،ص١٥٣.

[٨٣] وهذه المدن هي: أنطاكية، الرها، آمد (دياربكر)، ملطية، مرعش، سروج، سميساط وغيرها.

[٨٤] تاريخ الرهاوي المجهول، ص٧٢.

[٨٥] الرهاوي المجهول: تاريخه، ص٧٥" ومما تجدر الإشارة إليه أن السريان والأرمن ساعدوا الصليبيين في الاستيلاء على بعض المدن و البلدات والقرى الإسلامية، فضلا عن إعلامهم بالخطط السرية التي كان قادة الجهاد الإسلامي قد وضعوها نصب أعينهم للقضاء على الصليبيين في أنطاكية والرها والمناطق المحيطة بهما، وكذلك قتلهم أي السريان والأرمن للمسلمين في أنطاكية، بعد أن دخلها الصليبيون بخيانة أحد الأرمن. ينظر بهذا الصدد: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩١هـ. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٣٥. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٠، ٢٠٤، ٢١١.

[٨٦] ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص١٥٣. الرهاوي المجهول: تاريخه، ص٧٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩١هـ.

[٨٧] سيغال: الرها المدينة المباركة، ترجمة يوسف إبراهيم جبرا، ص٢٧٨.

[٨٨] المرجع نفسه، ص٢٧٨.

[٨٩] تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص١٥٣.

[٩٠] المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٣.

[٩١] سيس: مدينة ملاصقة لثغور الشام، من أعمالها طرطوس وميرسين، استولى عليها السلطان المملوكي بيبرس. ينظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٤.

[٩٢] مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، الطبعة الأول، ١٩٨٢، ص٢٢٥-٢٣٤.

[٩٣] سوريال: مرجع سابق، ص٤١١.

[٩٤] نقولا زيادة: مرجع سابق، ص٢١٥.

[٩٥] سوريال: مرجع سابق، ص٤٩٢-٤٩٣.

[٩٦] المرجع نفسه، ص٤٩٣.